عندما تتجاهل المواقف السياسية التفسيرات العلمية

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

يستطيع المتابعون وضع أياديهم بسهولة على العلل الحقيقية من خلال مجموعة من المواقف الدولية التي تؤكد الصراع أو التوافق السياسي بين الولايات المتحدة والصين، أو بين إيطاليا وبعض الدول الأوروبية، على وقع انتشار فايروس كورونا.

يستطيع هؤلاء أيضا تفهّم الصخب والهدوء الذي ترافق مع الأزمة، وكلها مواقف على سبيل المنافسة والعتاب ولم تنحرف ضد الأسباب العلمية للمرض والتشفي في أصحابه واللجوء إلى تبريرات جامدة وغبية، وإذا وُجدت يتم التراجع عنها بمجرد ثبوت الخطأ في التقديرات.

أظهرت الجائحة أفضل ما في البشر من تصرفات وأثمن ما في حياتهم وهي الصحة، وكشفت أيضا عن أسوأ ما فيهم وهي الأنانية. في الأولى رأينا التلاحم والتعاطف وإنكار الذات، بينما جرى تسخيرها سياسيا في الثانية لخدمة مواقف عقائدية غير واقعية.

لم يتعب الكثيرون في فهم المعاني النبيلة التي يحملها الفريق الأول، والقيم الإنسانية العظيمة التي ينطلق منها، ويكاد يجنّ جنون الناس وهم يَرَوْن حملات ترويج سياسية وسط المِحنة دون أدنى اهتمام بالمصيبة وتوابع زلازلها التي لم تستثن دولة تقريبا.

استغرق البعض وقتا طويلا لتصفية الحسابات السياسية وتصوروا أنها كافية للتعامل مع المِحنة وجلب المنافع منها، وانتهزوا الفرصة لترديد شائعات وعبارات وشعارات جوفاء وهم على ثقة من وجود جيوش جرارة ترددها بلا دراية وتفكير، وتعمل على نشرها كأنها اليقين، حيث اعتبروا المرض هدية من السماء لتركيع بعض القوى والتخلص ممن يرونهم متغطرسون أو من فصيلة تستهويها السيطرة، وأن اللحظة حانت للانطلاق في ظل الانهماك في اتخاذ التدابير اللازمة لمعالجة كورونا وروافده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

كنت أعتقد أن "مهاويس" الدعاء على كورونا ليلا في عرض الشارع ظهروا في مدينة الإسكندرية المصرية فقط، حتى فوجئت أنهم كرروا فعلتهم في عدد من الدول العربية، ما يعني أن هناك أمرا جاءهم لعزف هذه السيمفونية بالتزامن أو في توقيتات متقاربة، وثمة جهة تحركهم نحو فعلتهم هذه ولها مآرب سياسية خفية، وجدت الظلام مناسبا للتعبير عنها.

يريد من وقفوا خلفها إثبات قدرتها على الحشد وامتطاء الأمواج العاتية، لكنهم فشلوا، لأن من تصدّوا لهم وأدانوهم كانوا أوسع نطاقا وأشدّ بأسا وتمسكا بالحياة، مع ذلك لم يقتنع من استثمروا في المرض بالفشل الذي أصابهم وواصلوا حفلاتهم السريالية، اعتقادا أن كورونا ينتقي من يصل إليه أو يبتعد عن المسلمين، ويفرّق بين منتمين للإخوان وغيرهم.

لم يغيّر هؤلاء عاداتهم وتقاليدهم وثوابتهم في ليّ أذرع وأعناق الحقائق، وواصلوا قلبها في أرقام المصابين والوفيات حسب هواهم، مع أن الأزمة كشفت لنا الدور الحيوي الذي تلعبه منظمة الصحة العالمية وأهمية وجودها في غالبية دول العالم ومتابعتها عن قرب للتطورات، وتقديم المعلومات بصورة مستمرة، بما لا يدع مجالا لمداراة هنا أو مناورة هناك.

غير أن أصحاب النفوس الضعيفة تجرؤوا على ما تقدمه من بيانات بمساعدة الحكومات المحلية وشككوا فيها، وأثاروا اللغط حولها في بعض البلدان كي يكونوا حاضرين في وليمة الكورونا بالجهل والحماقة والغدر، واعتمدوا على معلومات ليست دقيقة، وإحصائيات تتنبأ بمصير المرض مستقبلا وفقا لمتواليات هندسية، وبثت على أنها حقائق حالية.

في المستقبل القريب سوف تتراجع الخلافات الأيديولوجية وتتعاظم التحالفات على أسس علمية تكاملية، ولن يكون هناك مكان تحت الشمس لذوي الأفكار التي تتاجر بعواطف الناس وتدغدغ مشاعرهم

بدت الآليات والأدوات والأشخاص تستخدم خطابا واحدا تقريبا. انظر إلى المنابر والأصوات والصور، والمفردات والإشارات والأماكن، تجدها متشابهة في الدول التي تقصدها والشعوب المراد تطويعها، وأنواع الفتن المطلوب ترويجها، ما يعني أن الرؤية العامة كانت محكومة بجملة من المواقف السياسية بعيدة تماما عن النظرة العلمية.

كتبت صحافية سودانية مقالا بعنوان "مصر أم المصائب" مؤخرا، تناقلته وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي التابعة للإخوان وتلقفته الميليشيات الإلكترونية، وحاولت أن تثبت من خلاله بشتى الطرق أن الفايروس خرج من مصر رأسا، ومنها يجوب العالم.

دعك من تنحية العلم وما تعرفه الدنيا بأثرها التي تحدثت عن ووهان الصينية كبؤرة أو مركز لانتشار المرض، وتوقف عند المزاعم التي ساقتها لتثبت أن كل المصابين جاؤوا من مصر، ووصلوا إلى كندا وأميركا وإيطاليا وألمانيا والصين طبعا، بالتالي يحق أن يطلق عليه "الفايروس المصري".

أشارت توجهات الرئيس الأميركي دونالد ترامب أنه تراجع عن وصفه الفايروس بـ"الصيني" في حين تمسكت الصحافية السودانية بفعلتها، وتهكمت على المثل الشعبي المحبب لكثير من المواطنين بأن بلدهم "أم الدنيا"، وبغض النظر عمّا يحمله من اعتزاز وفخر وثقة، فقد أرادت الصحافية أن تنزع عن المصريين أحد أهم شعاراتهم المحببة.

المثير أن المقال أثار فتنة جديدة بين مصر والسودان، وخرج عن سياقه الظاهر من صب غضب صحافية على القاهرة لأسباب مجهولة، إلى انجرار فئة سودانية تفرغ شحنات غضب سياسية مكتومة حيال مصر، وكأن هدف صاحبته إحداث ضجة وتفجير أزمة بين البلدين، في وقت تشهد فيه العلاقات تحسّنا على وقع تعاون أمني واعد يستهدف مكافحة الإرهاب وتقويض دور العناصر المتطرفة.

حصدت الأزمة المفتعلة نشاطا تجاوز الحديث العلمي عن الفايروس ومخاطره وأضراره القريبة والبعيدة ووسائل الوقاية منه، وحصره في أوعية عقائدية تنطوي على أحكام مسبقة، وسعى البعض لتوظيف الجائحة والقفز على أمواجها الإنسانية ووضعها في قوالب سياسية.

شاهدت فيديو لأحدهم يطالب مرضى كورونا بنقل العدوى إلى ضباط وجنود الجيش والشرطة في مصر، وكأن إصابتهم تعني التخلّص منهم وحدهم، وغيرهم من المحصنين في الأرض، فقد بلغ التشفي حد تغييب العقل وعدم الاعتداد بالمنطق. وما أكثر المواقف التي تثبت التخلّي عنهما مبكرا، لأن وجودهما ضد قيام الجماعات المتشددة بمهامها في التجنيد والحشد والتقتيل.

ولذلك تجد هذه النوعية من الدعوات طربا وتسويقا وإعادة تكرار وإنتاج لها بأشكال متباينة بما يتماشى مع طبيعة كل منطقة. فالمهم أن تستمر الغمامة ولا يرى أحد الحقيقة عارية.

إذا كان كورونا سيؤرخ بأنه تاريخ فاصل أو محطة بين ما قبله وما بعده في العلاقات الدولية والتفاعلات بين الأمم، فإنه أيضا سيؤرخ لدور التنظيمات الإسلامية بما قبله وبعده. فقد كانت خطط قادتها تعتمد على التناقضات والفجوات بين القوى المختلفة، وتتسلل منها وتبث سمومها في مناطق عديدة، مستفيدة من انسحاق البعض وراء تفسيراتها الخيالية.

في المستقبل القريب سوف تتراجع الخلافات الأيديولوجية وتتعاظم التحالفات على أسس علمية تكاملية، ولن يكون هناك مكان تحت الشمس لذوي الأفكار التي تتاجر بعواطف الناس وتدغدغ مشاعرهم، فسلطان العلم سيتصدى لطوفان الجهل، وقوة الحجة ستسود وتهيمن، ولن تصبح هناك فائدة للمواقف والرؤى السياسية التي تعبث بالتفسيرات العلمية.

العرب ونهاية التاريخ البشري

فاروق يوسف
كاتب عراقي

سيكون التاريخ حائرا في تفسير موقف العرب من الأزمة الكونية التي واجهتها البشرية في ظل اجتياح فايروس كورونا الكرة الأرضية.

فالدول كلها، من غير استثناء، وقفت صفا واحدا في جبهة واحدة من أجل أن لا يتمكن ذلك الكائن الخفي من هزيمتها. التحم العلم والاقتصاد والفكر في تركيبة هي أشبه بالدواء لا لرفع المعنويات المنهارة فحسب، بل وأيضا للدفاع عن الوجود البشري باعتباره إنجازا حضاريا.

البشرية وهي تحارب ذلك الفايروس لا تدافع عن مادتها التي هي الناس وحدهم، بل وأيضا عن القيم الإنسانية التي ناضلوا من أجلها. إن أرضا يبابا تخيلها الفايروس وهو كائن ميت لا يمكن أن تطوى إلا من خلال طريقة صارمة في قراءة ما توصل إليه البشر عبر مراحل الاحتكام إلى العقل من حقائق. لا يمكن للخرافة أن تقاوم عاصفة الفايروس الصامت.

وإذا كان العرب في واحدة من أهم محاولات فهمهم لما يحدث من حولهم ولما صار يفتك بهم قد ابتهجوا بوقوع جدل سياسي يندرج في إطار نظرية المؤامرة، فإن كل ما اقترحوه للوصول إلى بر الأمان لم يكن سوى طلاسم وأحجيات وألغاز وحكايات لا ترقى إلى مستوى الإنسان العاقل الذي أنتج حكمته من خلال التجربة الحية.

هناك دول عربية قليلة تفاعلت مع المحنة الكونية وعالجت الأزمة بطريقة جادة، لم تخترقها فكاهة الخرافة. غير أن المشهد العربي لم يكن مؤهلا للارتقاء إلى ذلك المستوى.

لقد استثنى بعض العرب أنفسهم من الحرب العالمية على كورونا حين قرروا الاستمرار في حروبهم الداخلية التي هي في جزء عظيم منها إنما تستمد طاقتها من الخرافة الإيرانية التي صارت مثار غضب المجتمع الدولي.

هناك حرب الحوثيين في اليمن وهناك حرب الحشد الشعبي في العراق وهناك الحرب السورية وهناك حزب الله في لبنان وهو يفتي بما هو مسموح به أو ممنوع، إضافة إلى أن ليبيا التي غصت بالمرتزقة. حروب لم يوقفها كورونا بالرغم من أنه اخترق جبهاتها وصار يعصف بها من غير أن تكون هناك مرجعية لتقدم إحصائيات حقيقية.

لقد صار واضحا أن هجوما شرسا مثل كورونا لا يمكن التصدي له إلا من خلال وجود دول قوية بمؤسسات متينة وأنظمة صحية متطورة. ذلك ما جعل إيران تتقهقر وهي التي تصدت لكورونا باعتباره عدوا خارجيا بالحرس الثوري لتقهره. وكان شعار "قمع كورونا" قد جعل من الوباء عدوا داخليا.

كانت هناك نصيحة حية وجهتها غير جهة عالمية إلى العالم العربي "أوقفوا حروبكم والتفتوا إلى العدو الذي سيحصد أرواحكم من غير أن يميز بين فريق وآخر". ولكن تلك النصيحة لم تجد لها آذانا صاغية. ذلك لأن ثقافة الموت وهي ثقافة إيرانية قد تمكنت من الجميع. وهو ما يعني أن الجبهات التي ستشهد موتا جماعيا بسبب كورونا لن يهدأ صخبها فهي محطات للموت وليس هناك من هامش للدفاع عن الحياة.

سيُقال إن العرب كانوا أسوأ الكائنات البشرية في الدفاع عن الحق في الحياة. ذلك حقيقي. فعاصفة كورونا لم تجمعهم. غاب عقلاؤهم أو غيّبوا. لقد تُرك الأمر للجهلة والأميين ومزوّري العقيدة والمحتالين لكي تكتمل الصورة.

كانت محنة كورونا فرصة للكشف عن حقيقة العالم العربي باعتباره مسرحا للمحتالين الذين لا يقيموا اعتبارا لقيمة الحياة البشرية. ففي خضم الدعوة العالمية إلى البقاء في البيت واتخاذ إجراءات الوقاية دعا مقتدى الصدر وهو رجل دين عراقي أتباعه للتوجه جماعات إلى ممارسة الطقوس الدينية. ذلك مجرم يتخذ من الدين عباءة لجريمته.

وبالرغم من عظمة الإجراءات التي اتخذتها دول عربية قليلة من أجل الحد من انتشار الوباء فإن التاريخ سينظر إلى العرب باعتبارهم دعاة لنهاية البشرية.

كورونا ليس كافيا لإسكات بنادق الحوثيين

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

كنوع من التخادم فرضته الأهداف المشتركة أو المرجعية الواحدة التي تنظم عملهما، عرضت جماعة الحوثيين عملية تبادل أسرى مع التحالف العربي مقابل إفراج الرياض عن عناصر لحركة حماس.

تبدو المبادرة مجرد استعراض إعلامي تحاول الجماعة أن تكسب به نقاطا معنوية على نحو ما يفعل رُعاتهم في طهران، لكنها تكشف في عمقها نوعا من الاشتباك الاستراتيجي بين خندق يمني وآخر فلسطيني يتشاركان المعسكر نفسه الذي ينتمي لإيران، ويخدم أجندتها وينخرط في أدوارها التقويضية لاستقرار المنطقة وأمنها الإقليمي، لاسيما وأن المنصات الإعلامية والدعائية التي تنطلق من الدوحة أو إسطنبول تعاطت مع الخبر على أساس الخصومة التقليدية التي تتخذها تجاه المملكة العربية السعودية، وبذلك يكتمل مشهد التخادم وإطار الصورة التي تجمعهم في معسكر واحد.

وفي يناير من العام الجاري شارك عضو المكتب السياسي لحركة حماس محمود الزهار عبر دائرة تلفزيونية مباشرة في المسيرة الجماهيرية التي نظمتها جماعة الحوثيين في شارع المطار بصنعاء، وألقى كلمات مفخخة بالإساءات والإشارات السلبية نحو دول الخليج، فيما كانت تردد الحشود شعارات الحوثيين التقليدية ضد الرياض وأبوظبي وبقية عواصم الاستقرار.

محاولة جديدة لتشتيت الواقع اليمني ورهنه بالحسابات الإقليمية من قبل الجماعة الحوثية، دون أبسط مراعاة لوجع اليمنيين ومشقة الحرب التي تسببت بها منذ سنوات أو أكثر، وانضمت إلى بقية المآسي الحادة التي تحدق باليمنيين، جائحة كورونا التي تواجه نظاما صحيًا هشًا ومتخلّفا في البلاد.

وربّ ضارّة نافعة، كان لهذا المثل أن ينطبق على علاقة كورونا وتهديده للشعب اليمني، بعد أن كشفت تقارير إعلامية عن مشاورات غير مباشرة تقودها الأمم المتحدة عن طريق مبعوثها الخاص إلى اليمن مارتن غريفيث، بين الحكومة اليمنية والحوثيين للتوصل لاتفاق شامل لوقف إطلاق النار في اليمن، لتوحيد كافة الجهود لمواجهة جائحة كورونا.

الأمر الذي رحب به التحالف العربي على لسان ناطقه الرسمي تركي المالكي، لكن الثقة المهزوزة بالتزام الحوثيين أو برغبتهم الجادة في رفع أعباء الحرب ومخاطر التهديد الفايروسي عن كاهل اليمنيين يهدد كل المبادرات الإيجابية التي تخفف من وطأة الحرب وتجهّز البلاد للتخفيف من مخاطر الجائحة المتوقعة.

محاولة جديدة لتشتيت الواقع اليمني ورهنه بالحسابات الإقليمية من قبل الجماعة الحوثية، دون أبسط مراعاة لوجع اليمنيين ومشقة الحرب التي تسببت بها منذ سنوات

وكان الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبوالغيط قد أطلق قبل ذلك بأيام، مبادرة "إسكات المدافع" ووقف الصراع بمناطق النزاع على كافة الجبهات العربية المشتعلة، في سوريا واليمن وليبيا، وسط تفشي جائحة كورونا، واعتبر أن أيّ خلاف في الوقت الراهن يعدّ نوعا من العبث.

لكن ما يشهده اليمن من تصعيد عسكري ملحوظ مقارنة بالأشهر الماضية، يبدّد أيّ بوادر لتوقف الحوثيين أو نوايا لديهم للتخفيف من اندفاعهم في تحقيق مكاسب على حساب أوجاع الشعب اليمني المغلوب.

وقد ظهر زعيم الجماعة الحوثية في كلمة له بثت مؤخرا ليؤكد ذلك وهو يتوعد بسنة سادسة جديدة من الحرب والتشبث بالانقلاب، وزعم أن جماعته باتت تصنع كل أصناف الأسلحة وأن السنة الجديدة ستحمل "مفاجآت لم تكن في حسبان تحالف دعم الشرعية وبقدرات عسكرية متطورة وانتصارات عظيمة".

ولضمان نسف كل الجهود الأممية والإنسانية، أطلقت عناصر الميليشيا الحوثية صباح الجمعة الماضي طائرة مسيّرة (دون طيار) باتجاه المملكة قبل أن تتمكّن قوات تحالف دعم الشرعية في اليمن من اعتراضها وإسقاطها.

الأمر الذي أكده السفير السعودي لدى اليمن محمد آل جابر وبأن اليمنيين كانوا يأملون بأن تتعقل جماعة الحوثي، ومرة تلو أخرى كانت المبادرات تُوقّع والعهود تُمضى وآخرها اتفاق السلم والشراكة، إلا أن الحوثي حاصر الرئيس، واختطف الدولة وغزا تعز وعدن، لكن الحوثي لن يستطيع التغرير بأبناء اليمن بخطابات فارغة تؤكد ولعه بالأكاذيب، ولن يستطيع طمس جرائمه ونكثه للعهود والمواثيق، وأن الانقلاب هو أصل المشكلة، ونهايته مفتاح الحل في اليمن.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk